مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

# زيارة وزير الخارجية السوداني لإيران ودلالاتها

(ورقة تحليلية)

يوسف كامل خطاب
باحث اول
مركز الخليج للأبحاث

أعلنت الخارجية السودانية في التاسع من أكتوبر ٢٠٢٣م عن استئناف العلاقات الدبلوماسية مع إيران، بعد قطيعة بين البلدين دامت ٧ أعوام، تضامنًا من السودان مع المملكة العربية السعودية، التي قطعت علاقتها بإيران في /٢٠١٦م، إثر تعرض سفارتها في طهران وقنصليتها في مشهد لاجتياح غوغائي من عناصر إيرانية تابعة للحرس الثوري الإيراني، وسرقة محتوياتهما، ما اعتبرته المملكة تقاعسًا من الحكومة الإيرانية في حماية المقرات الدبلوماسية، التي تفرض المواثيق الدولية على الدولة المضيفة حمايتها والدفاع عنها

ولم تلفت عودة العلاقات السودانية ـ الإيرانية، عندما تمت في ٩ أكتوبر ٢٠٢٣م، اهتمام السياسيين على المستويين الدولي والإقليمي، لانشغال الجميع عن السودان وأحداثها العسكرية والسياسية بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، التي اندلعت قبل يومين فقط من الإعلان عن عودة العلاقات بين البلدين، واستمر الانشغال بما يرتكب في غزة من جرائم إبادة متعمدة لأبناء الشعب الفلسطيني وعمليات تدمير وتخريب لجل ما في القطاع من مساكن ومدارس ومساجد وكنائس ومشافي وجامعات ومتاحف وحدائق... وغيرها من مظاهر العمران

وبالرغم من أن الحرب الإسرائيلية على غزة لم تتوقف، بل أصبحت أكثر ضراوة ووحشية، إلا أن الاهتمام بعودة العلاقات السودانية ـ الإيرانية أخذ منحى متصاعدًا وموقعًا متقدمًا في أجندة الموضوعات السياسية ـ الإقليمية والدولية ـ واستقطب اهتمام ومتابعة الكثير من المحللين والسياسيين عقب زيارة وزير الخارجية السوداني (علي الصادق علي) لطهران في الخامس من فبراير ٢٠٢٤م، تلبية لدعوة نظيره الإيراني (حسين أمير عبد اللهيان)؛ وقد رحبت إيران بـ»رغبة السودان إحياء العلاقات بين طهران والخرطوم»، وفقا لما ذكرته وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية (إرنا). واعتبر الرئيس الإيراني (إبراهيم رئيسي) استعادة العلاقات الدبلوماسية مع السودان «أساسًا لتعويض الفرص الضائعة وخلق فرص جديدة»

وقد طرحت زيارة وزير الخارجية السوداني لإيران في هذا التوقيت العديد من التساؤلات حول: أسبابها؟ ودلالاتها؟ وعلاقتها بالحرب داخل السودان؟ والحرب في غزة؟ وعلاقة الزيارة بما تشهده المنطقة من توترات أمنية وعسكرية في البحر الأحمر؟ والموقف الإقليمي والدولي منها؟ والتداعيات والمخاوف التي يمكن أن تترتب عليها؟ وهي الأسئلة التي أُعدَّت الورقة لمحاولة الإجابة عليها

## أسباب الزيارة ودلالاتها:

بالرغم من تأكيد المتحدث باسم الخارجية الإيرانية (ناصر كنعاني) أن الزيارة تأتي في إطار التنسيق لعودة العلاقات الطبيعية، واستئناف الأنشطة الدبلوماسية بين البلدين، بعد إعلان عودة العلاقات الدبلوماسية في أكتوبر ٢٠٢٣م؛ إلا أن مجيء الزيارة بعد العديد من التغيرات الداخلية والإقليمية والدولية التي شهدتها الشهور الثلاثة الماضية، تؤكد أن أسباب الزيارة ودلالاتها تتجاوز التصريحات الرسمية إلى ما هو أكثر أهمية من التنسيق لاستئناف العلاقات بين البلدين، ويمكن رصد هذه الأسباب فيما يلي

## أولًا: سوء الأوضاع الداخلية السودانية:

شهدت السودان خلال الشهور الثلاثة الماضية العديد من الأحداث التي دفعت رئيس مجلس السيادة الانتقالي السوداني وقائد القوات المسلحة السودانية (الفريق أول/ عبد الفتاح البرهان) إلى التحرك الخارجي بحثًا عن داعمين وحلفاء لتحسين الوضع الداخلي، وكانت أبرز الأحداث الداخلية ما يلي

> بالرغم من أن تنامي النفوذ الإيراني في السودان يثير قلقًا إقليميًا ودوليًا؛ لم تبد أي من القوى الإقليمية والدولية أي اعتراض على عودة العلاقات السودانية ــ الإيرانية بالرغم من خطورة تداعياتها على منطقة الشرق الأوسط والقرن الأفريقي

* تمكُّن قوات الدعم السريع بقيادة (الفريق أول/ محمد حمدان دقلو) (حمدتي)، التي انشقت عن الجيش السوداني في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، من اجتياح ولاية (الجزيرة)، وعاصمتها (ود مدني)؛ التي تعد إحدى الولايات الاستراتيجية المهمة في السودان وفرض السيطرة عليها؛ وهو التطور الذي وصفه مراقبون بـ«المنعرج الخطر» في مسار الحرب الدائرة منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣م؛ ما جعل الشعب السوداني يشعر بفقدان الثقة في قدرة الجيش السوداني على إنهاء التمرد، وتوفير الحماية له، وخصوصًا بعد أن تجاوز عدد القتلى السودانيين منذ بدء الحرب إلى ما يزيد على ١٣٠ ألف مواطن، وتجاوز عدد النازحين من المدن السودانية ٨ ملايين نازح، منهم مليونان نزحوا إلى خارج السودان باتجاه دول الجوار، وخصوصًا مصر التي استقبلت أعدادًا كبيرة من الفارين من ويلات الحرب.

* اصطفاف كثير من عناصر المكون المدني إلى قائد ميليشيات الدعم؛ حيث تم توقيع اتفاق بين قائد قوات الدعم السريع (محمد حمدان دقلو) ورئيس مبادرة (تقدم) (عبد الله حمدوك) في يناير ٢٠٢٤م، تنفيذًا لما أعلنه الأول في الخطاب الذي وجهه للشعب السوداني بمناسبة الذكرى الـ ٦٨ لاستقلال البلاد من الحكم الإنجليزي في العام ١٩٥٦م؛ بأنه سيعمل مع القوى السياسية من أجل تحقيق التحول المدني، والوصول إلى سودان تسوده العدالة بين الجميع.

وهوما انتقده رئيس مجلس السيادة (البرهان)، و اعتبره دعمًا من القوى المدنية لمن أسماهم -في خطاب ألقاه في المناسبة نفسها- «أيادي العمالة والارتزاق». ورهن إنهاء الحرب المستمرة منذ ٩ أشهر في البلاد بخروج قوات الدعم السريع من ولاية الجزيرة التي سيطرت عليها مؤخرًا

وقد تم الاتفاق بعد إعلان قوات الدعم السريع عن انفتاحها على وقف العدائيات بشكل فوري وغير مشروط عبر تفاوض مباشر يفضي الى التزام مماثل من الجيش السوداني؛ والتعاون مع لجنة التحقيق الدولية التي شكلها مجلس حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة لرصد الانتهاكات التي وقعت في جميع أنحاء السودان، نتيجة للحرب المستمرة منذ منتصف أبريل ٢٠٢٣م، بين الجيش وقوات الدعم السريع. كما اتفق الجانبان على أن يكون الحكم في السودان في مرحلة ما بعد الحرب مدنيًا خالصًا، بعيدًا عن أي تدخل من القوات المسلحة

> على الدول العربية توظيف استراتيجية انفتاح إيران لإعادة العلاقات المقطوعة معها، لوضع أسس اتفاق إقليمي يضمن استمرار تلك العلاقات، وترسيخها، عبر الالتزام بوقف تقديم الدعم للجماعات التي تمثل أذرع إيران في الدول العربية؛ وعدم التدخل في الشأن الداخلي؛ وتعزيز التعاون في مجالات التنمية

والأجهزة الأمنية الأخرى، مع الالتزام التام بتفكيك نظام الثلاثين من يونيو الذي حكم السودان بقيادة جماعة الإخوان المسلمين من العام ١٩٨٩م، وحتى سقوطه في أبريل ٢٠١٩م

وقد وافقت قوات الدعم السريع على إطلاق سراح ٤٥١ من أسرى الحرب والمحتجزين لديها، استجابة لطلب من «تقدم»، وذلك عبر اللجنة الدولية للصليب الأحمر. ومن جانبها أكدت «تقدم» الاتفاق مع قوات الدعم السريع على إنهاء الحرب واستكمال مسار ثورة ديسمبر من أجل الوصول إلى الحكم المدني

* شعور رئيس مجلس السيادة السوداني بتواطؤ أو انحياز بعض قادة دول منظمة (إيقاد) إلى قائد مليشيات قوات الدعم السريع على حساب مجلس السيادة الذي يعد السلطة الشرعية للبلاد؛ ومحاولة استغلال بعض قادة دول (إيقاد) لتحقيق مصالحهم الخاصة، كتسوية الخلافات على الحدود أو فرض أمر ما على السودان المنقسم سياسيًا وعسكريًا بسبب الحرب؛ وقد أكد تصريح رئيسي أثيوبيا وكينيا بعدم وجود سلطة في السودان شعور رئيس مجلس السيادة السوداني وقائد الجيش (عبد الفتاح البرهان)، الذي اعتبر التصريح بمثابة عدم اعتراف بشرعيته لحكم السودان من جهة؛ وسعيًا من بعض قادة دول المنظمة لتقسيم ما بقي من السودان، على غرار ما فعلته (ايقاد) لفصل جنوب السودان عام ١٩٩٣م من جهة أخرى.

## ثانيًا: توتر علاقات السودان مع محيطها الإفريقي

اتسمت علاقات السودان مع عدد من الدول الإفريقية بالتوتر خلال الشهور التي سبقت عودة العلاقات مع إيران؛ بسبب تذبذب مواقف تلك الدول وعدم وضوحها من طرفي الحرب القائمة في السودان، ما جعل (البرهان) يخشى من تحول الموقف الإفريقي لصالح خصمه، وقد تجسد هذا التوتر في المظاهر التالية

* فشل المبادرة التي أطلقتها الهيئة المعنية بالتنمية في أفريقيا «إيقاد» ، والتي اقترحت عقد لقاء مباشر بين رئيس المجلس الرئاسي وقائد الجيش الفريق أول عبد الفتاح البرهان، وقائد ميليشيات الدعم السريع الفريق أول محمد حمدان دقلو في العاصمة الأوغندية كمبالا منتصف شهر يناير ٢٠٢٤م على هامش قمة طارئة خُصصت لمناقشة الأزمة السودانية وقضايا أخرى. بسبب رفض البرهان حضور القمة احتجاجًا على تقديم الدعوة لخصمه للمشاركة فيها باعتباره متمردًا وليس رئيس دولة؛ بينما شارك (حمدتي) في القمة، والتقى عددًا من الرؤساء والزعماء والمبعوثين، بمن فيهم المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في السودان (رمطان العمامرة)، وأبدى رغبة في تحقيق السلام. وكتب مغردًا على موقع إكس: «أكدت خلال الاجتماع على رغبتنا الصادقة في تحقيق الأمن والاستقرار في بلادنا لرفع المعاناة الإنسانية عن شعبنا»

* تجميد (البرهان) عضوية السودان رسميًا في التكتل الإقليمي (إيقاد) بعد مرور يومين من عقد القمة. وقد برر قرار التجميد ـ في رسالة بعثت بها وزارة الخارجية السودانية إلى دولة جيبوتي، الرئيس الحالي لمنظمة(إيقاد) ـ بأن «المنظمة تجاهلت قرار السودان الذي رفض مناقشة أي موضوعات تخص الوضع الراهن في السودان ... حكومة السودان غير ملزمة ولا يعنيها كل ما يصدر من إيقاد في الشأن السوداني». واعتبر (البرهان) قبول المنظمة لحضور (حمدتي) للقمة، دعمًا من (ايقاد) لمليشيات التدخل السريع المتمردة على الحكومة الشرعية السودانية؛ إضافة لما صرح به رئيسا أثيوبيا وأوغندا بأن السودان يعاني من الفراغ السياسي، ما يعني عدم الاعتراف بحكومة السودان الشرعية ممثلة في المجلس السيدي الذي يرأسه (البرهان)

ويرى بعض المحللين أن قرار (البرهان) بتجميد عضوية السودان في المنظمة الإفريقية أدى إلى تعقيد الحل السياسي للأزمة السودانية، لأن القرار سيخلق مشكلة في (منبر جدة) باعتبار أن (إيقاد) مشاركة فيه؛ وهو ما يعني تنصل الجيش عن التزاماته بشأن وقف إطلاق النار وتحقيق السلام؛ والمضي قدمًا في تصعيد العمليات العسكرية مرة أخرى

* قيام قائد قوات الدعم السريع (حمدتي) بجولة في العديد من الدول الأفريقية، بدأها في ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٣م، وشملت كل من (أوغندا، وجيبوتي، وإثيوبيا، وكينيا، وجنوب أفريقيا)، واستقباله من قادة تلك الدول استقبالًا رسميًا وحفاوة لافتة؛ وتأكيده ـ عبر حسابه في منصة إكس ـ أنه قدم لمستضيفيه، في محطات جولته المختلفة، شرحًا لأسباب اشتعال الحرب، وخارطة الطريق التي يطرحها للوصول إلى الحل الشامل الذي يحقق السلام في السودان.

وتزامنت زيارات (حمدتي) مع سيطرة قواته على ولاية الجزيرة المحورية وسط البلاد؛ ما اعتبرته رئيس مجلس القيادة السوداني (عبد الفتاح البرهان) اعترافًا رسميًا من تلك الدول به، ودعمًا لخروجه ضد الجيش والشعب السوداني.

وكانت أهداف (حمدتي) من خلال هذه الجولة هي: إظهار نفسه، وإعلان عودته العلنية إلى المشهد السياسي في البلاد بعد غياب امتد ٦ أشهر، وتضاربت الأنباء في تفسير سببه، حتى ذهب بعضهم إلى إعلان وفاته؛ وتقويض الجهود التي بذلها البرهان مع أغلب قادة هذه الدول خلال جولات سابقة له، ووجد منها تفهمًا لموقف الجيش السوداني ورؤيته في الدفاع عن وجود الدولة؛ وهو ما أراد (حمدتي) مقابلته بموقف التدخل السريع ورؤيته للحرب وسبل وقفها.

* تصاعد الأزمة الدبلوماسية مع كل من الإمارات وتشاد، حيث أمر السودان ١٥ دبلوماسيًا إماراتيًا بمغادرة أراضيه عقب طلب الحكومة الإماراتية من السفير السوداني والملحق العسكري ونائبه والملحق الثقافي مغادرة أراضيها. كما استدعت تشاد السفير السوداني وطالبت باعتذار خلال مدة ٧٢ ساعة عن تصريحات ألقاها مساعد القائد العام للجيش السوداني (ياسر العطا)، اتهم فيها الإمارات بتزويد الدعم السريع بالأسلحة عبر مطارات في تشاد وأفريقيا الوسطى وأوغندا

* توتر العلاقات السودانية ـ الكينية بسبب رفض حكومة البرهان أن تترأس كينيا للجنة الرباعية، واتهام رئيسها (وليام روتو) بدعم قائد الدعم السريع وميليشياته المتمردة، وطالبت الحكومة السودانية بأن يرأس اللجنة رئيس جنوب السودان (سلفاكير ميارديت)، مع التهديد بالانسحاب من منظمة «إيقاد»، إذا لم يتم تغيير رئاسة كينيا؛ وهو ما تم بالفعل حيث أعلنت السودان عن تجميد عضويتها بالمنظمة كما سبقت الإشارة

## ثالثًا: تراجع الاهتمام الدولي بالحرب السودانية

لم تلق الحرب السودانية اهتمامًا دوليًا كالذي لقيته الحرب في غزة، أو الحرب الأوكرانية؛ لعدم تأثر المصالح الأمريكية والغربية بما يدور في السودان؛ وتمثل تراجع الاهتمام الدولي في

* انحصار الاهتمام الدولي في إصدار بعض المواقف الداعية لإنهاء النزاع في السودان، دون أن

> ما زال التعاون العسكري بين السودان وإيران محدوداً ؛ وما زالت غاياته مقصورة على إنهاء الحرب في السودان عبر دعم قوات الجيش السوداني، التي تمثل الشرعية للبلاد ضد ميليشات الدعم السريع، التي تلقى الدعم العسكري والسياسي من بعض دول المنطقة؛ وهذا ما جعل عودة العلاقات وتطويرها مع إيران غير مزعج حتى الآن للولايات المتحدة وإسرائيل.

يكون لتلك المواقف أيّ أثر حقيقي على الطرفين المتحاربين؛ حيث اكتفت واشنطن بتوجيه رسائل إلى طرفي الحرب بألا يكون لهما دور في الحكم في مرحلة ما بعد الصراع في السودان. وحثت السفارة الأميركية - في بيان أصدرته في ١٩ ديسمبر ٢٠٢٣ م بمناسبة الذكرى الخامسة للثورة السودانية - كلا من الجيش السوداني والدعم السريع على إنهاء القتال، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية، والاضطلاع بواجباتهما وفقا للقانون الدولي الإنساني واحترام حقوق الإنسان

* اتهام لجنة تقصي الحقائق في السودان لطرفي الحرب، دونما اعتبار لكون أحد الطرفين ممثلًا

شرعيًا معترفًا به من الشعب السوداني والمنظومة الدولية، والآخر متمرد على الشرعية معتدٍ على الدولة والشعب؛ وهو ما جعل الخارجية السودانية توجّه أصابع الاتهام لبريطانيا ودول غربية لم تسمّها، في أكتوبر ٢٠٢٤م، بتبني حملة سياسية وإعلامية، وطرح مشروع لجنة تقصي الحقائق في السودان لدى مجلس حقوق الإنسان، معلنة رفضها مشروع القرار وتوصيفَه لما يجري في السودان

## أبعاد الزيارة وأهدافها:

إزاء هذه الأوضاع الداخلية والإفريقية والدولية المتذبذبة وغير الواضحة، بادر رئيس مجلس السيادة السوداني إلى تعزيز علاقاته مع الدول العربية، والقوى الإقليمية، المعنية بتداعيات الأزمة السودانية، التي يمكن أن تؤثر على مجريات الحرب في السودان عبر الدعم السياسي والعسكري، وفي هذا السياق قام (البرهان) بزيارة مصر في أول رحلة له خارج السودان، وعرض خلال الزيارة أبعاد الموقف الداخلي في السودان؛ كما رشح جنوب السودان لتتولى رئاسة اللجنة الرباعية بدلًا من كينيا.

كما عزز السودان علاقاته مع تركيا؛ فعقب زيارة رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان في سبتمبر٢٠٢٣م، اتفق مع الرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) على تفعيل الاتفاقيات المشتركة، التي شملت جوانب اقتصادية وعسكرية، وإعادة الإعمار بعد الحرب، وفقًا لما أعلنته بعض المصادر. كما التقى رئيس الحكومة الإيرانية (ابراهيم رئيسي) أثناء القمة العربية الإسلامية التي انعقدت في الرياض لمناقشة الحرب على غزة، والتي كانت على ما يبدو المدخل إلى تعزيز عودة العلاقات وتطويرها عبر الزيارة الأخيرة لوزير الخارجية السوداني لطهران

وفي هذا السياق من محاولات تعزيز العلاقات الخارجية السودانية مع القوى الإقليمية المؤثرة في المنطقة (تركيا وإيران)، جاءت زيارة وزير الخارجية السوداني لإيران كمسعى من قبل الحكومة السودانية لتوثيق العلاقات معها

## أهداف الزيارة:

أما أهداف الزيارة، فقد اقتصر المعلن منها على أنها للتنسيق بين الجانبين بشأن فتح السفارات والملحقيات الممثلة للبلدين وإعادة التعاون بينهما إلى ما كان عليه قبل قطع العلاقات؛ بيد أن هنالك هدفين رئيسين آخري يمكن استنباطها من توقيت الزيارة، وما سبقها من تطور الأحداث الداخلية في السودان، وهما:

الهدف الأول: البحث عن حلفاء إقليميين ودوليين وكسب دعمهم السياسي لمواجهة الضغوط الأمريكية البريطانية التي تمارس ضد البرهان عبر تأييدها لخصومه من (قوى الحرية والتغيير) و(الدعم السريع)؛ وهو ما يمكن تحقيقه عبر الاقتراب من المعسكر المناوئ للولايات المتحدة وبريطانيا، والمتمثل في الصين وروسيا وإيران؛ التي تعد وسيطًا مهمًا لتوثيق علاقة السودان بالدولتين الأخريين؛ انطلاقًا لما للجميع في السودان من مصالح اقتصادية وعسكرية واستراتيجية بحكم موقعه الجيواستراتيجي على البحر الأحمر، والذي سعت روسيا عام ٢٠٢٠م إلى التواجد عليه عبر توقيع اتفاق مع السودان على إقامة منشأة بحرية قادرة على استقبال سفن حربية تعمل بالطاقة النووية بالقرب من ميناء بورتسودان؛ وتم تعليقه والعمل على إلغائه من قبل الولايات المتحدة

الهدف الآخر: الحصول على دعم عسكري إيراني، لتعويض الجيش السوداني عن مخزونات الأسلحة والذخائر التي تم الاستيلاء عليها من قبل قوات التدخل السريع؛ والتي تم فقدها في الحرب المستمرة منذ نحو ١٠ أشهر، خصوصًا وأن الصناعات الدفاعية السودانية قد توقفت منذ بدء المعارك في الخرطوم

وتعدُّ إيران الوجهة المثلى لتحقيق هذا الهدف، وذلك لاعتبارين:

الاعتبار الأول: أن إيران كانت إحدى الدول التي دخل معها السودان منذ أكثر من عقدين ـ خلال عهد الرئيس المعزول (عمر البشير) ـ في تعاون عسكري مثمر، للتغلب على العقوبات الأميركية والحصار الذي كان مفروضًا على السودان، ما جعل الخرطوم تتجه للتعاون العسكري مع الدول الشرقية، و إيران وغيرها من الدول.

الاعتبار الآخر: أن إيران كانت إحدى الوجهات التي قصدتها السودان لشراء أسلحة ومسيرات عبر الطرق الرسمية؛ ومنها المسيرات الإيرانية (مهاجر ٦) ـ وهي المسيرة ذاتها التي كانت الولايات المتحدة قد اتهمت إيران بتزويدها لروسيا خلال الحرب مع أوكرانيا ـ التي تم استخدمت بكثرة خلال الأسابيع الماضية في مواجهة ميليشيات الردع، وأسهمت في تغيير ميزان القوة لصالح الجيش السوداني؛ حيث تمكن من قصف أهداف للدعم السريع وأوقع بها خسائر كبيرة بشكل متزامن، في كل من: الخرطوم ـ التي أحرز الجيش فيها تقدمًا ملحوظًا ـ وولاية الجزيرة في وسط البلاد وغرب كردفان، حيث استطاعت قوات الجيش أن تمنع تمدد الدعم السريع نحو ولايتي سنار والقضارف، اللتين كان يستهدفهما بعد سيطرته على ود مدني عاصمة ولاية الجزيرة في منتصف ديسمبر ٢٠٢٣م.

## مكاسب إيران من إعادة العلاقات وتعزيزها:

لا خلاف بين المهتمين بتطور الأحدث في إيران والسودان وغيرهما من بؤر الصراع في الشرق الأوسط على أن سعي السودان إلى إعادة العلاقات مع إيران يحقق لها المزيد من المكاسب الاستراتيجية في محيطها الإقليمي، ومنها

* الاستفادة من الموقع الجيوسياسي الاستراتيجي، الذي يتمتع به السودان، حيث يمتلك إطلالة ساحلية استراتيجية على البحر الأحمر تقدر بنحو ٨٠٠ كيلومتر، وتعد موانئه ساحة تنافس دولي من قوى عدة أبرزها: أميركا، والصين، وروسيا وكذلك تركيا؛ وهو ما يجعل السودان في بؤرة اهتمام إيران التي تسعى إلى الحصول على موطئ قدم على سواحل البحر الأحمر، لتعزز نفوذها في المنطقة في ظل وجود حلفاء لها مثل جماعة الحوثي باليمن (المطل أيضا على البحر الأحمر).

* استغلال إيران عودة العلاقات مع السودان لتعزيز نفوذها في المنطقة، الذي سعت إلى بسطه عام ١٩٩٩م عبر توطيد علاقاتها مع جيبوتي، من خلال إنشاء مركز شيعي كبير فيها عام ٢٠١٤م؛ كما دشنت قاعدة عسكرية تطل على مضيق باب المندب في إريتريا عام ٢٠٠٩م، كانت تستغلها لدعم ميليشيات الحوثي في اليمن، كما ركزت وجودها في ميناء (عصب) الإريتري، وفي العام نفسه نصبت عددًا كبيرًا من بطاريات صواريخ بعيدة ومتوسطة المدى وصواريخ مضادة للطائرات. ويعد السودان مدخلًا نحو القرن الأفريقي شرقًا والساحل الأفريقي غربًا، وهو ما تبحث عنه إيران حاليًا عبر إعادة علاقاتها مع السودان؛ مما قد يثير مخاوف بعض دول الخليج ومصر، في ظل التنافس الأميركي الروسي الصيني الخليجي على المنطقة

* الترويج لقدرات إيران العسكرية وتفوقها في التصنيع العسكري، وخصوصًا في مجالي الصواريخ والمسيرات، التي ذاع صيتها دوليًا بعد تزويد روسيا بها في حربها ضد أوكرانيا؛ فضلًا عما يستخدمه الحوثيون في اليمن وحزب الله في لبنان، وكلاهما من الأذرع الإيرانية في المنطقة، من صواريخ إيرانية الصنع في الحرب على غزة واستهداف السفن العابرة للبحر الأحمر من قبل الحوثيين. ويذكر أن واشنطن قد وسعت عقوباتها المتعلقة بإيران العام الماضي، مشيرة إلى أن «نشر طهران المستمر والمتعمد للطائرات من دون طيار (يهدف) لتمكين روسيا ووكلائها في الشرق الأوسط والجهات الفاعلة الأخرى المزعزعة للاستقرار»

* الاستمرار في تطبيق استراتيجية الانفتاح على الدول والمحيط الجغرافي، التي يتبعها الرئيس الإيراني (إبراهيم رئيسي) وتقوم على إعادة العلاقات مع الدول العربية التي قطعت علاقتها بإيران، وقد بدأت تلك الاستراتيجية بإعادة العلاقات مع المملكة العربية السعودية؛ وأعقبها ترحيب المرشد الإيراني (علي خامنئي)؛ باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وفقًا لما أبداه السلطان العماني (هيثم بن طارق) خلال زيارته الرسمية لإيران في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ مايو ٢٠٢٣م، من رغبته في التوسط لإعادة العلاقات بين البلدين؛ حيث نشر ـ حينها ـ الموقع الرسمي للمرشد، قوله:» نرحب ببيان سلطان عمان حول استعداد مصر لاستئناف العلاقات مع إيران،

وليس لدينا مشكلة في هذا الصدد»؛ وقد شهدت الأسابيع الماضية بوادر لعودة العلاقات. وتأتي عودة العلاقات الإيرانية مع السودان في هذا السياق، الذي يعيد العلاقات مع الدول العربية ويعززها.

## الموقف الدولي والإقليمي من عودة العلاقات

بالرغم من أن تنامي النفوذ الإيراني في السودان يثير قلقًا إقليميًا ودوليًا؛ لم تبد أي من القوى الإقليمية والدولية أي اعتراض على عودة العلاقات السودانية ـ الإيرانية بالرغم من خشية تداعياتها على منطقة الشرق الأوسط والقرن الأفريقي؛ ويعود عدم الاعتراض على عودة العلاقات لاعتبارات عديدة، منها

* أن عودة العلاقات السودانية ـ الإيرانية، تمت بعد عودة العلاقات السعودية ـ الإيرانية برعاية صينية في ١٠ مارس ٢٠٢٣م، والتي كان انقطاعها قبل ٧ سنوات سببًا لقطع علاقات السودان مع إيران؛ بل إن قطع العلاقات بين البلدين ـ حينها ـ «لم يكن بإرادة الحكومة والشعب السودانيين على الإطلاق»، وفقًا لما أعلنه وزير الخارجية السوداني، في ٢٠ يناير ٢٠٢٤م، أثناء حديثه عن جهود الخرطوم لاستئناف العلاقات مع إيران. وما دامت عودة علاقات المملكة وإيران لم تجد اعتراضًا إقليميًا أو دوليًا، بل وجدت الترحيب والتأييد؛ فالأولى ألَّا تجد عودة العلاقات السودانية ـ الإيرانية ذلك

* أن التعاون العسكري بين السودان وإيران لا يزال محدودًا، وليس موجهًا ضد أي طرف آخر؛ وما زالت غاياته مقصورة على إنهاء الحرب في السودان عبر دعم قوات الجيش السوداني، التي تمثل الشرعية للبلاد ضد ميليشات الدعم السريع المتمردة، التي تلقى الدعم العسكري والسياسي من بعض دول المنطقة؛ التي يحقق استمرار الصراع مصالحها الاقتصادية والسياسية الخاصة.

* انشغال القوى الإقليمية والدولية بالتعقيدات الأمنية، والأوضاع المضطربة التي تعيشها المنطقة، بسبب التوتر في باب المندب والبحر الأحمر، والحرب في غزة وتداعياتها؛ وإن كان هذا الانشغال لن يطول، وستقوم الإدارة الأمريكية في أقرب فرصة بالضغط على الحكومة السودانية، لكي لا تتماهى في علاقاتها مع إيران، لتصبح أحد الأذرع التي تدير مصالحها في المنطقة كجماعة الحوثي في اليمن، وحزب الله في لبنان، والحشد الشعبي في العراق.

## التداعيات والمخاوف:

يمكن أن تثير عودة العلاقات بين السودان وإيران، بما قد يترتب عليها من نتائج، العديد من المخاوف الداخلية والإقليمية والدولية، ومنها

* التخوف من أن تؤدي عودة العلاقات في هذا التوقيت، الذي يشهد تصاعد الحرب، إلى التدخل العسكري الإيراني في السودان لدعم الجيش ضد ميليشيات الردع السريع؛ سواء بشكل غير مباشر عبر عناصر الحرس الثوري الإيراني، على غرار ما تم في دول عربية (سوريا، اليمن، العراق)، والتي انتهت بتواجد دائم لإيران في هذه الدول؛ أو بشكل مباشر عبر تقديم الدعم العسكري لأحد أطراف النزاع، وهو ما سوف يطيل من أمد الحرب، ويبدد فرص السلام، ويفتح الباب على مصرعيه للتدخلات الخارجية التي ما زالت تتم في الخفاء على استحياء مع إنكار صريح من تلك الأطراف بالتدخل، أو تبريره بامتداد القبائل بالمنطقة في أكثر من بلد إفريقي وهي الحجة التي يرد بها على تدخل عناصر تشادية في الحرب

* قد تؤدي عودة التعاون السوداني الإيراني، وخصوصًا في المجال العسكري، إلى إعادة السودان إلى دائرة الاستهداف الأمريكي الإسرائيلي؛ حيث ستدخل السودان من وجهة النظر الأمريكية في الفضاء الجيوسياسي الإقليمي، الممتد من إيران إلى اليمن والعراق وسوريا ولبنان من جهة؛ والفضاء الاستراتيجي الدولي الذي يضم الصين وروسيا وإيران من جهة أخرى؛ وكلاهما وإن حقق للسودان مصالحها التكتيكية خلال المرحلة الحالية، حيث وضحت نتائجه في الميدان العسكري، وصارت الكفة تميل لصالح الجيش؛ إلا أنه لا يخدم المصلحة الوطنية السودانية الإستراتيجية على المدى البعيد؛ ما لم تطور السودان علاقتها بإيران وفق رؤية وطنية واضحة، تبعدها عن دائرة الاستقطاب الإيراني وتوجهاته الإقليمية.

* توجه السودان نحو المحور المناوئ للولايات المتحدة والغرب، والمتمثل في: إيران وروسيا والصين؛ والاستغناء عن محاولات الاقتراب من الأمريكي الغربي، والكف عن السعي لنيل رضاه واهتمامه؛ عبر البعد عن إيران، وقبول التطبيع مع إسرائيل، ونحوها من التوجهات التي لم يجن السودان من ورائها شيئًا، سوى الانتقاص من استقلال قراره الوطني داخليًا وخارجيًا، وتجاهل الحرب التي تدور رحاها على أرضه مستنزفة ثرواته البشرية والاقتصادية والعسكرية منذ أكثر من عشرة أشهر، دون بذل أي جهد لوقفها، او محاسبة الجهات الخارجية التي تعمل على تأجيجها عبر تقديم الدعم العسكري من أسلحة وعناصر قتالية، لميليشيات الدعم السريع

* التحسب من استغلال إيران لاحتياجات السودان العسكرية، ومقايضتها بالحصول على موطئ قدم في سواحل البحر الأحمر، على نحو ما كانت عليه


> قد تؤدي عودة التعاون السوداني الإيراني، وخصوصًا في المجال العسكري، إلى إعادة السودان إلى الفضاء الجيوسياسي الإيراني، الممتد من إيران إلى اليمن والعراق وسوريا ولبنان من جهة؛ والفضاء الاستراتيجي الدولي الذي يضم الصين وروسيا وإيران من جهة أخرى؛ وهو ما قد يعيد السودان إلى دائرة الاستهداف الأمريكي الإسرائيلي

الأمور عام ٢٠١٢م، حيث كانت السفن الحربية الإيرانية ترسو في الموانئ السودانية، معتبرة السودان موطئ قدم استراتيجي في أفريقيا. وربما اتخذ الأمر صورة رسمية عبر تأجير السودان لإيران مساحة كافية لإقامة قاعدة بحرية عسكرية إيرانية على ساحل البحر الأحمر، على غرار القواعد العسكرية البحرية متعددة الجنسيات المنتشرة في جيبوتي؛ مما يضاعف من أزمات البحر الأحمر الأمنية، التي بلغت ذروتها خلال الأسابيع الماضية. وإن كان بعض المحللين يستبعد ذلك لكلفته العالية، التي قد لا تكون إيران قادرة على دفعها حاليًا، لمعاناتها الاقتصادية من جهة، ولعدم استفزاز واشنطن والدول الغربية، بالتواجد العلني على سواحل البحر الأحمر عبر السودان في هذا التوقيت من جهة أخرى

* اتخاذ السودان مدخلًا نحو القرن الأفريقي شرقًا، والساحل الأفريقي غربًا، لتعزيز نفوذها في المنطقة؛ وهو ما سوف يثير مخاوف بعض دول الخليج ومصر، في ظل التنافس الأميركي الروسي الصيني الخليجي على المنطقة؛ وربما أدى ذلك إلى توتر العلاقات السودانية مع تلك الدول وغيرها من دول المنطقة، والأفريقية منها بخاصة، مما يعرض السودان إلى أزمات جيواستراتيجية في محيطها الإقليمي.

* استمرار توتر العلاقات مع دول الجوار (أثيوبيا، تشاد، غينيا)، والإقليم (الإمارات العربية المتحدة) بسبب الدبلوماسية العنيفة التي تمارسها السودان تأثرًا بوقائع الحرب المشتعلة في الداخل السوداني، والتي تؤثر بشكل كبير على علاقة أيّ دولة بالأخرى، وتتأثر بالتقاطعات والمصالح التي يمكن تحقيقها من خلال دعم أحد طرفي الحرب على حساب الآخر.

* تراجع السودان عما سبق أن أقبلت عليه من تطبيع العلاقات مع إسرائيل، كمقابل لتوثيق العلاقات مع إيران، وعودتها إلى ما كانت عليه من تعاون قبل انقطاعها عام ٢٠١٦م؛ وخصوصًا بعد توتر علاقات السودان مع الإمارات التي كانت سببًا رئيسًا من أسباب تطبيع العلاقات السودانية الإسرائيلية؛ وهو الأمر الذي لاحت بوادره فيما صرَّح به الرئيس الإيراني (إبراهيم رئيسي)، خلال لقائه لوزير الخارجية السوداني، من ضرورة اتخاذ «مواقف واضحة» من جانب «جميع الدول الإسلامية تجاه الكيان الصهيوني»؛ مشيرًا إلى أنّ «خطوات بعض الدول الإسلامية نحو تطبيع العلاقات مع هذا الكيان تتعارض مع هوية تلك الدول»؛ مؤكدًا قناعته بالقول: «لو قطعت هذه الدول علاقاتها بالكيان المحتل لما استطاع مواصلة جرائمه ضد المدنيين في غزة»

وتماشيًا مع تلك التصريحات، أوضح الوزير السوداني موقف بلاده الداعم للقضية الفلسطينية، وتنديدها بالعدوان (الإسرائيلي) على غزة، مشيرًا إلى «مؤامرات الكيان الصهيوني لاستمرار الحرب والأزمة الداخليتين في السودان»، وفق ما ورد في بيان الخارجية الإيرانية، ولفتت إليه الوكالة الإيرانية أيضًا، بذكرها أن الوزير السوداني تطرق إلى «مؤامرات الكيان الصهيوني»، مؤكدًا «موقف السودان الثابت، حكومة وشعبًا، في حماية التطلعات الفلسطينية المقدسة، وإدانة العدوان والجرائم الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، ولا سيما أهل غزة».

> على الحكومة السودانية أن تتحسب من استغلال إيران لاحتياجاتها العسكرية، ومقايضتها بالحصول على موطئ قدم داخل السودان أو على سواحل البحر الأحمر، على نحو ما كانت عليه الأمور عام ٢٠١٢م، حيث كانت السفن الحربية الإيرانية ترسو في الموانئ السودانية، معتبرة السودان موطئ قدم استراتيجي في أفريقيا

وكانت تصريحات الوزير السوداني بمثابة تذكير بالاعتداءات التي نفذها الطيران الإسرائيلي ضد أشخاص داخل الأراضي السودانية، بتهمة الضلوع في تهريب السلاح إلى حركة «(حماس) عبر صحراء سيناء؛ و قصفه لمجمع (اليرموك») للصناعات العسكرية في ٢٣ أكتوبر ٢٠١٢م؛ ، وتصريح وزير الدفاع الإسرائيلي حينها (عاموس جلعاد)، بأن السودان «دولة إرهابية»، وإنه كان يُستخدم نقطة عبور لنقل الأسلحة الإيرانية إلى حركتَي (حماس) و(الجهاد الإسلامي) عبر الأراضي المصرية. وقد تستغل هذه التصريحات ضد حكومة (البرهان)، سواء من قبل خصومه في الداخل أو من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، حيث إن البعض قد يعتبرها تأييدًا من الحكومة السودانية لمحور المانعة

* عودة المراكز الثقافية الإيرانية إلى انشطتها الي كانت تمارسها قبل صدور أوامر بإغلاقها ووقف أنشطتها، في سبتمبر ٢٠١٤م، واتهام موظفيها بنشر المذهب الشيعي الاثنا عشري في بلد معظم سكانه هم من المسلمين السنة، بما يترتب عليه من صراع طائفي يضاعف من تمزق المجتمع واصطفافاته المتنافرة

## التوصيات:

في ضوء التحليل الى تضمنته الورقة عن زيارة وزير الخارجية السوداني لإيران من أجل التنسيق لإعادة العلاقات بين البلدين لما كانت عليه قبل انقطاعها عام ٢٠١٦م، توصي الورقة بما يلي

* ضرورة التدخل الجاد والفاعل من قبل الدول الإقليمية المؤثرة في المنطقة، وخصوصًا المملكة

العربية السعودية وجمهورية مصر العربية، لتحذير السودان من مغبة التماهي مع إيران وتطلعاتها الإقليمية، بدافع الحاجة إلى الدعم العسكري والتأييد السياسي، الذي تفتقر إليهما في محيطها العربي والإفريقي؛ ومن ثم التأثر بتوجهات إيران الأيديولوجية والسياسية، ودعمها مستقبلًا في بسط نفوذها الإقليمي وتحقيق تطلعاتها في البحر الأحمر والقرن الإفريقي

* العمل عبر المنظمات العربية (جامعة الدول العربية) والإسلامية (منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي) على تقريب وجهات النظر وطرح مبادرات غير منحازة، للمصالحة بين طرفي الحرب من أجل الوصول إلى وقفها، وعودة الهدوء والاستقرار والأمن للشعب السوداني؛ وكف الأطراف الخارجية عن تذكية نيران الحرب عبر مدِّ طرفيها بعناصر القتال والأسلحة والعتاد الذي يحصد أرواح السودانيين ويصيب أجسادهم بعاهات مستديمة

* توظيف استراتيجية انفتاح إيران على الدول العربية لإعادة العلاقات المقطوعة معها(السعودية، والسودان، ومصر، وليبيا)، لوضع أسس اتفاق إقليمي يضمن استمرار تلك العلاقات، وترسيخها، عبر الالتزام بالقواعد والضوابط السياسية والدبلوماسية المعتبرة، من: عدم التدخل في الشأن الداخلي لأي من دول المجموعة؛ وتعزيز التعاون في مجالات التنمية الزراعية والصناعية والأنشطة المالية والتجارية التي تعود على شعوب بالنفع والفائدة؛ واحترام التنوع الفكري والثقافي والمذهبي في كل دولة من الدول، وعدم توظيفه لمصالح ذاتية ضيقة

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net